بثقة المجتمع الدولي واحترامه، مما أعطاها القدرة الفائقة على إثبات وجودها كدولة لها تأثير واضح في السياسات الدولية لا يمكن تجاهله. وعلى المستوى الداخلي نجحت في تحقيق حالة السلامة العامة لمواطنيها على المستويات كافة وفي جميع المراحل رغم كل الظروف الصعبة التي أحاطت بها(١).

الشخصية الوطنية الأردنية

تتشكل الشخصيّة الوطنيّة للمجتمعات الإنسانيّة من خلال مجموعة سمات وخصائص ثقافية، تعطي كل مجتمع من المجتمعات سمته المتميزة التي تمنحه في الوقت نفسه القدرة على مواجهة التحديات. وهذه السمات الثقافية التي تتمثل بالعادات والتقاليد والقيم والمثل العليا وطرق التفكير وأنماط السلوك، لا تتشكل عند أبناء المجتمعات من خلال لحظة آنيّة عابرة، إنما تكون نتاجًا لتفاعل جملة من العوامل والمؤثرات التي تتشكل عبر مراحل تاريخية طويلة.

(١) إبراهيم بدران، الأردن والوسطية، وزارة الشباب، عمان، ١٩٨٨، ص ١١٠.

ولما كان السلوك الإنساني في مجمله يعكس طبيعة التكوين الثقافي لأبناء المجتمع، فإنه يمكن القول إنّ المجتمعات التي لها هوية وشخصية وطنية ذات ثوابت إيجابية راسخة تستند إلى جملة مبادئ ومثل سامية، تمكنت من البقاء والاستمرار وامتلاك كافة معاني المقدرة على مواجهة التحديات.

وهذا هو حال الشخصية الوطنية الأردنية، المقوم الأساسي لقوة الدولة الأردنية، والتي امتازت بالعديد من السمات الإيجابية المنبثقة من قيم الأمة العربية والإسلامية، والمنسجمة في الوقت نفسه مع الأخلاقيات الحضارية الإنسانية الراقية، والتي من ملامحها الواضحة في واقع الشخصية الأردنية الوسطية والاعتدال، والإيمان بمبادئ العدل والحرية والمساواة واحترام كرامة الإنسان وحقوقه، ورفض التعصب والتطرف، إضافة إلى الكرم والضيافة والانتماء العربي الإسلامي.

إنّ هذه المزايا الإيجابية التي تتسم بها الشخصية الوطنية الأردنية بأبعادها الأخلاقية الدينية والعربية والإنسانية، شكلت أساساً اجتماعياً وفكرياً قوياً، استند إليه كيان الدولة

الأردنية بشكل منحه القدرة على مواجهة التحديات الخطيرة التي تعرضت لها المنطقة العربية منذ بدايات القرن العشرين والتي أدت إلى إحداث انقلابات خطيرة في الدول المجاورة، كان لها انعكاسات سلبية على واقع الحياة العامة لما صاحبها من مجازر دموية وإبراز نعرات طائفية ودينية وعرقية، أدت إلى دمار المجتمعات التي تعرضت لها وتدمير منجزاتها التي تحققت على مدار سنوات طويلة.

والواقع أنّ الأردن لم يكن بعيداً عن هذه الأحداث، بل كان على الدوام في قلب الأحداث، وتعرض لنفس التحديات إنْ لم تكن أكثر قوة في العديد من المراحل، إلاّ أن هذه التحديات لم تنجح في النيل من سيادة الدولة الأردنية وهيبتها، بل زادتها قوة وتصميمًا على السير بخطى ثابتة نحو تحقيق أهدافها العليا. وهذا ما يتضح من خلال إلقاء نظرة عاجلة على واقع التحديات التي تعرضت لها الدولة الأردنية منذ بداية تشكيلها عام ١٩٢١، واستمرت قائمة طوال مراحلها التاريخية، تمثلت ابتداءً بالمخطط الصهيوني الطامع في الأردن، ثم السيطرة الاستعمارية قبل الاستقلال، إلى المؤامرات المدعومة من القوى اليسارية المحيطة بالأردن وسعيها المستمر إلى الإطاحة بالدولة وإدراج الأردن في إطار المنظومة الاشتراكية خلال مراحل الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، ومن ثم حرب الخليج وتداعياتها السلبية على الأردن مع نهايات القرن العشرين، وأخيراً الانعكاسات السلبية التي تعرض لها الأردن بفعل ما سمي بالربيع العربي مع بدايات القرن الواحد والعشرين، الذي أطاح بالعديد من الدول التي تفوق الأردن من حيث الموارد والإمكانات المادية. الأمر الذي دفع العديد من التيارات السياسية التي لا تدرك حقيقة سلامة بناء الدولة الأردنية إلى المراهنة على انهيار الأردن وإدراجه في قائمة الدول التي فتكت بها مأساة الربيع العربي.

إلاّ أنّ نتائج الأحداث برهنت على عكس ما راهنوا عليه بفعل قوة بناء الدولة الأردنية وسلامته الذي يستند إلى مقومات صلبة راسخة في واقع الشخصية الوطنية الأردنية ذات

الملامح العربية الإسلامية الأصيلة التي مكنت الأردنيين من الحفاظ على دولتهم ومواجهة التحدي الصعب بكل عزم واقتدار.

والواقع أن ملامح القوة التي اتسمت بها الشخصية الوطنية الأردنية كركن أساسي قامت عليه قوة الدولة الأردنية تشكل بفعل ثلاثة عوامل رئيسة هي:

أولاً: الموقع الجغرافي: لعب الموقع الجغرافي للأردن دوراً مهماً في صياغة ملامح الشخصية الوطنية، حيث أتاح هذا الموقع – الذي يشكل حلقة وصل استراتيجية منذ أقدم العصور بين مواطن الحضارات القائمة في آسيا وأوروبا وأفريقيا – الفرصة أمام إنسان الأردن للتواصل مع الحضارات كافة، وأخذ كل ما هو جميل من منجزاتها، الأمر الذي أدى إلى إثراء التجربة الحضارية للشخصية الوطنية الأردنية والتي كان من ملامحها المتميزة بفعل هذا العامل التعددية الثقافية والسكانية والإيمان بمبدأ الوسطية والاعتدال والاعتراف بالآخر واحترام منجزاته، وقد انعكست هذه الحالة من التنوع في المشهد الاجتماعي والثقافي بشكل واضح في الآفاق الفكرية للشخصية الأردنية لتسمو بها من الأطر القطرية والإقليمية الضيقة إلى الإطار الإنساني الواسع.

ومما هو جدير بالقول إنّه على الرغم من حالة التعددية التي يتسم بها الأردن سواءً أكانت دينية أم عرقية أم إقليمية أم ثقافية، إلا أن جميع هذه الأطياف عاشت ولا تزال منسجمة في إطار الشخصيّة الوطنيّة الأردنيّة الواحدة، ولم يشهد تاريخ الأردن منذ بداية تأسيس الدولة أيًّا من النعرات الطائفية أو العرقية، ليؤكد الأردن بذلك من خلال فكره المتحضر أنّ سمة التعددية بجميع أشكالها يمكن استثمارها لتكون سمة قوة للمجتمع والدولة وليست سمة ضعف كما برز ذلك في العديد من المجتمعات.

وقد تشكلت هذه الحالة الرائعة من الانسجام بين مكونات الشخصية الوطنية الأردنية بأبعادها المتعددة بفعل المثل والقيم والأخلاقيات العربية الإسلامية الأصيلة والإنسانية السامية التي يؤمن بها الأردنيون من جانب، ومنهجية القيادة الهاشمية المستنيرة التي تعاملت مع الجميع بروح العدل والمساواة من جانب آخر.

ثانيًا: التاريخ: أورثت حركة التاريخ التي كانت نشطة على الأرض الأردنية منذ أقدم العصور، الإنسان الأردني المعاصر، موروثًا حضاريًا رائعًا يجمع ما بين الشراسة والحلم والإيمان بالدفاع عن عزة الأمة وكرامتها. وهذا ما يتضح من خلال صدق الانتماء العربي

الإسلامي الذي تتحلى به الشخصيّة الوطنيّة الأردنيّة. هذه السمة الأصيلة التي تعود في جذورها إلى تجارب تاريخية تشكلت على الأرض الأردنية عبر العصور، وانتقلت قيمها السامية من جيل إلى جيل حتى وصلت إلى الإنسان الأردني المعاصر.

فمنذ فجر التاريخ تحمّل إنسان الأردن مسؤولية الدفاع عن الوجود العربي في وجه القوى الطامعة، كما تجلى ذلك في نضال المؤابيين والعمونيين والأنباط ضد العبرانيين واليونان والرومان.

وتجلت هذه الحالة النضالية بأروع صورها بعد ظهور الإسلام حيث شكلت الأردن ساحة رئيسة للعمليات العسكرية التي انطلقت منها الدعوة الإسلامية إلى أقطار الأرض، كما تأكد ذلك في معركة مؤتة واليرموك. اللتين استشهد فيهما عدد من كبار الصحابة لا تزال قبورهم ماثلة على أرض الأردن كشاهد عيان على الارتباط الوثيق بين الأردن وانطلاق الدعوة الإسلامية.

ويستمر هذا الإرث النضالي المجيد الذي سجلته حركة التاريخ على أرض الأردن ليبرز في أسمى معانيه في قهر القوى الطامعة ممثلة بالصليبيين والمغول كما تجلى ذلك في معركة حطين وعين جالوت، ثم معركة الكرامة الخالدة التي حطمت غطرسة الكيان الصهيوني. إن هذا الإرث النضالي الذي أكسبته حركة التاريخ للشخصية الوطنية الأردنية. برز بكل وضوح في حركة الثورة العربية التي كان لأبناء الأردن دورٌ بارزٌ في مساندتها ماديـًا ومعنويـًا انطلاقـًا من إحساسهم العروبي الإسلامي الصادق.

الأردن ضمن الحدود السياسية للإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني

لقد أقام الأردنيون من منطلق موروثهم الحضاري العربي الإسلامي المتأصل في هويتهم، دولتهم الحديثة على شاكلتهم، وهذا ما اتضح بكل جلاء من خلال مساندتهم الملك المؤسس في بناء دولةٍ على أرض الأردن وفق مبادئ الثورة العربية تكون قاعدة للحلم العربي الكبير.

وقد تمكنوا على الرغم من كل الظروف الصعبة التي أحاطت بهم من خلال صبرهم وكبريائهم وتمسكهم بقيادتهم الهاشمية صاحبة الشرعية الدينية والتاريخية من بناء دولة متحضرة تستند إلى شخصيّة وطنيّة تتأصل فيها قيم الأمة التي تمتد بجذورها إلى نضال الأنباط وانطلاق الإسلام في مؤتة واليرموك ومجد الأمويين والعباسيين وصحوة الأمة في حطين وعين جالوت ليتصل هذا كله بمجد بني هاشم حملة لواء النهضة العربية. هذه هي الشخصية الوطنية الأردنية التي ترسخت فيها قيم الأمة العربية والإسلامية عبر مراحل تاريخية طويلة لتشكل أساساً صلباً تستند إليه قوة الدولة الأردنية.

ثالثًا: فكر القيادة الهاشمية ومنهجها المستنير في الحكم: يتميز الأردن من غيره من الدول، بأنه يتبع في حكمه لقيادةٍ تحمل شرعية دينية وتاريخية ودستورية، وعلى مر التاريخ العربي الإسلامي تحملت القيادة الهاشمية، المسؤولية في الدفاع عن عزة الأمة وكرامتها، متبعة منهجًا ينبثق في مجمله من قيم الأمة ومثلها العليا.

ومنذ بداية تأسيس الدولة الأردنية، سعت القيادة الهاشمية إلى إيجاد دولة أردنية وفق مبادئ الثورة العربية الكبرى ببعديها العربي والإسلامي، وتمتلك في الوقت نفسه كل معاني القوة والقدرة على مواكبة التطورات العصرية، من خلال تشكيل حكومة عربية دستورية ومجلس نواب ممثل للشعب، ودستور عصري، وجيش عربي على مستوى عالٍ من الاحتراف القتالي قادر على تحقيق الأمن الداخلي والدفاع الخارجي بعيداً كلَّ البعدِ عن الانتماءات الطائفية والحزبية والعرقية والجهوية.

والناظر إلى حقيقة منهجية القيادة الهاشمية في إدارة الدولة الأردنية يجد أنها تتسم بمجموعة من المزايا الإيجابية التي أثّرت إلى حدٍ كبير في صياغة ملامح الشخصية الوطنية الأردنية المعاصرة. فمنذ البداية قامت هذه المنهجية على أساس التحرك العقلاني التدريجي المحسوب الخطوات الرامي إلى إحداث التغيير الإيجابي من خلال عملية التنمية والتطوير وليس التثوير.

وصفي التل في سوف أثناء زيارة جرش

ولجعل الأردن قاعدة قوية للمشروع العربي النهضوي الذي جسدته مبادئ الثورة العربية الكبرى سعت القيادة الهاشمية إلى الارتقاء بشخصية الإنسان الأردني، وتنمية وعيه، وصون كرامته وترسيخ إيمانه وتقدير دوره التاريخي، والتأكيد على ملامح هويته العربية الإسلامية وإعداده لمواجهة تحديات العصر ومتطلبات المستقبل، وترسيخ انسجامه مع السلطة وولائه للقيادة من منطلق إيمانه وقناعته الذاتية.

إنّ هذا النهج الهاشميّ المستنير في الحكم والذي يستند إلى قاعدة صلبة قوامها الشرعية الدينية والتاريخية الضاربة في أعماق التاريخ والمتسم بالعدل والحرية والمساواة والإيمان بمبدأ التعددية، واحترام كرامة الإنسان وحقوقه والتمسك بمثل الأمة وقيمها العليا، والرافض في الوقت نفسه التطرف والعنف وارتكاب المجازر الدموية من أجل تحقيق أهداف الدولة، وقد شكل نموذجاً رائعاً في التربية الوطنية انعكست ملامحه بشكل

واضح في واقع الشخصية الوطنية الأردنية، ليضفي عليها بالنتيجة سمة حضارية متألقة على المستويات كافة تحظى باحترام المجتمع الدولي وتقديره، وتمتلك كل المقدرة على إثبات الوجود ومواجهة التحديات، هذا هو الأردن بشخصيته الحضارية المتميزة التي تتأصل فيها قيم العروبة والإسلام والمثل الإنسانية الراقية التي ستظل على الدوام القاعدة الصلبة لقوة الدولة الأردنية.